... ممَّ تَضْحَكُ يا رسُولَ الله؟!...

بعد أن فرغ رسول الله ﷺ من أمر الخندق ـ غزوة الأحزاب ـ أمر أصحابه بالتوجّه إلىٰ بني قريظة ، لأنهم حزّبوا الأحزاب ، ونقضوا العهود والمواثيق مع رسول الله ﷺ.

وأمر الرسول ﷺ مؤذّناً ، فأذّن في الناس: «من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلّين العصر إلاّ ببني قريظة»[1].

قال ابن إسحاق: وحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة ، حتىٰ جهدهم الحصار. وقذف الله في قلوبهم الرعب ، ثم إنهم بعثوا إلىٰ الرسول صلوات الله عليه: أن ابعث إلينا أبا لبابة ابن عبد المنذر ـ أخا عمرو بن عوف ، وكانوا حلفاء الأوس ـ لنستشيره في أمرنا.

فأرسله رسول الله ﷺ ، فلما رأوه قام إليه الرجال ، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه ، فرقّ لهم.

وقالوا: يا أبا لبابة ، أترىٰ أن ننزل علىٰ حكم محمد؟ قال: نعم ، وأشار بيده إلىٰ حلقه أنه الذّبح!.

قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتىٰ عرفتُ أني قد خنتُ الله ورسوله.

ثم انطلق أبو لبابة علىٰ وجهه ، ولم يأت رسول الله ﷺ حتىٰ ارتبط في المسجد إلىٰ عمود من عُمده ، وقال: لا أبرح مكاني حتىٰ يتوب الله عليّ مما

---

(١) عيون الأثر: ٢/ ٦٨ ، تاريخ الطبري: ٢/ ٥٨١.

صنعتُ ، وأعاهد الله أن لا أطأ بني قريظة أبداً ، ولا أُرى في بلدٍ خنتُ الله ورسوله فيه أبداً!.

وكان الرسول ﷺ قد استبطأ أبا لبابة ، فلما بلغه خبره ، قال: «أما إنه لو جاءني لاستغفرتُ له ، فأما إذ قد فعل ما فعل ، فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتىٰ يتوب الله عليه».

وأقام أبو لبابة مرتبطاً بالجذع ست ليال ، تأتيه امرأته في كل وقت صلاة ، فتحلّه للصلاة ثم يعود فيرتبط بالجذع ، قالت أم سلمة رضي الله عنها: فسمعت الرسول صلوات الله عليه من السّحر وهو يضحك ، فقلت: مم تضحك يا رسول الله؟ أضحك الله سنّك.

قال: «تاب الله علىٰ أبي لبابة» فقلتُ: أفلا أبشّره يا رسول الله؟.

قال: «بلىٰ إن شئت» ، فقامت أم سلمة علىٰ باب حجرتها فقالت: يا أبا لبابة ، أبشر فقد تاب الله عليك ، فثار الناس لمَّا سمعوا قول أم سلمة ليطلقوا سراحه ، فقال لهم: لا والله ، حتىٰ يكون الرسول ﷺ هو الذي يطلقني بيده فلما مرّ صلوات الله عليه أطلقه من وثاقه[1].

أجل يا نبيّ الرحمة يا رسول الله!.

هو الحبيبُ الذي تُرجىٰ شفاعته ... لكلّ هولٍ من الأهوال مقتحمِ
دعا إلىٰ الله فالمستمسكون به ... مستمسكون بحبلٍ غير مُنفصمِ

* * *

(١) سيرة ابن كثير: ٢/ ٢٤٤ ، الطبقات لابن سعد: ٢/ ٢٩.